**كلمة رئيس الجامعة الأنطونيَّة الأب ميشال جلخ**
**في حفل تكريم مؤسس جمعية "عدل ورحمة" المغفور له الأب هادي عيَّة**
**١٠ تموز ٢٠١٨**

---

قدسَ الرئيسِ العام للرُّهبانية الأنطونية الأباتي مارون أبو جودة السامي الاحترام،
حضرة الآباء المدبِّرين،
أصحاب السيادة والسعادة، وممثليهم مع سائر المقامات السياسيَّة والقضائيَّة والأمنيَّة،
صاحب السعادة الأستاذ ألبير مخيبر،
قدس الأمين العام للمدارس الكاثوليكيَّة الأب بطرس عازار،
حضرة رئيس جمعية "عدل ورحمة" الأب الدكتور نجيب بعقليني،
عائلة وأصدقاء الأب المغفور له هادي العيَّة المحبوب والعزيز على قلوبنا،
أيها الحضور الكريم،

عادةً، وفي مناسباتٍ مماثلة، أُرحِّبُ بالحضورِ باسمِ الجامعة، وأكتفي بكلمةٍ مقتضَبَةٍ تَفتَتِحُ أو تَختَتِمُ لقاءً، أكاديميًّا كان أو ثقافيًّا أو تكريميًّا. إلَّا أنَّني هذه المرَّة سأتخطَّى تلك القاعدةَ لأنَّ مَن نَستَذكِرُهُ اليومَ لَمُستحقٌّ فعلًا. "بدكُن تسمحولي إحكي. إحكي عَن جبَّار من رهبنتي، عن عملاق بالخدمة، عن صديق وعن خَي."

إن أردتُ أن استجمعَ ذاكِرَتي فهادي يملؤُها كلَّها. هو في بدايةِ مسيرتي في الرهبنة، وأنا في نهايةِ حياتِه هو فيها. هو في أفراحي وأحزاني، وأنا في مرَحِهِ ومرَضِهِ. هو في نجاحاتي الجامعيَّة وسائرِ خدماتي في الرهبنةِ والفاتيكان، وأنا في نضالِهِ الاجتماعيِّ وتحدِّياتِهِ الكنسيَّةِ والرُّهبانيَّة. غلبْتُه بالدراسةِ في روما، غَلَبَني هو بعطفِهِ وحنانِهِ ومحبَّتِه. علَّمتُهُ الموادَ اللاهوتيَّةَ؛ أي عِلمَ اللهِ النظريِّ، علَّمَني هو عيشَ علمِ اللهِ التطبيقيِّ.

ترافقنا منذ صِبانا، وتحديدًا منذ سنة ١٩٧٧ فتآخَينا وتصادَقنا وتشارَكنا رؤيانا وأفكارَنا وتطلعاتِنا وطموحاتِنا. وكم من المرَّاتِ جلسنا معًا في ديرِ القلعةِ نشكرُ اللهَ والمسؤولينَ في الرهبَنَةِ ونَضحَكُ معًا على تعييننا في ديرٍ واحد.

حاضرٌ معي في أهمِّ مفاصلِ حياتي، وخصوصًا في مناسبتَينِ اثنتَين، وحاضرٌ أنا في حياتِهِ وخصوصًا في مناسبَةٍ جوهريَّةٍ بالنسبة إليه. أذكر أنَّه فَعَلَ المستحيلَ كي يكونَ موجودًا في افتتاحِ بيتِ سيرينللا الجديد في روما سنة ١٩٩٩ لأنَّه كان يعرِفُ مكانَةَ هذا الديرِ بالنسبة إليَّ وأهميةَ هذا الإنجازِ في حياتي؛ وعادَ ليُعيدَ الكَرَّةَ مرَّةً ثانيةً عام ٢٠٠٨ عندما ترك أشغالَهُ ليسافِرَ يومَ الدفاعِ عن أطروحَتي في الدكتوراه. وفي كِلا الحالتين لم يترك حُجَّةً أو حِيلَةً إلَّا واخترعها حتَّى يكونَ حاضرًا، لا بل خادمًا لي: إذْ لَمْ يكن همُّهُ سوى إنجاحِ الاحتفالِ فيَفتَخِرَ بي ويفرحَ مَعي.

أذكرُ في المقابلِ أنَّهُ، وخلالَ فرصةِ الصيفِ في لبنانَ أواخرَ التسعينيات، طلبَ منِّي مُصِرًّا حضورَ افتتاحِ مركزٍ خاصٍّ في قلبِ سِجنِ رومية بإدارةِ جمعيَّة عدل ورحمة. أقول مُصرًّا لأنَّ المعاكساتِ والمضايقاتِ التي تحمَّلها من أجلِ ذلكَ البيتِ كانت جمَّةً. أذكرُ أمامَكم ذلك المركزِ لأنَّهُ يُجَسِّدُ نموذجًا لما كانَ يُعانِيهِ في كلِّ مبادرةٍ كان يقومُ بها.

فبقدرِ ما كانَ يركِّزُ تفكيرَهُ على الآخرِ وعلى السجينِ والمدمنِ والمحتاجِ، بقدرِ ذلك كانَ هناكَ مَن يُفَكِّرُ بِهِ هو ليضعَ في وجهِهِ العراقيلَ تِلو العراقيلِ ويُصعِّبُ عليهِ اندفاعَهُ وغَيرَتَهُ في خدمَةِ المهمَّشِ والمَقصيِّ.

صحيحٌ أنَّهُ كان مُحتالًا حاذِقًا وداهيةً كما كانَ يُقالُ عنهُ عامَّةً، إلَّا أنَّهُ كرَّسَ هذه الشقاوةَ من أجلِ الإيجابيَّةِ وفِعلِ الخيرِ ومُساعَدَةِ الغيرِ حتَّى ولو تخطَّى في بعضِ الأحيانِ الأمورَ المألوفَةَ وانتَهكَ بعضَ القواعِد. أَوَ لَمْ تُوجَدِ الأمورُ المألوفَةُ والقواعدُ للناسِ العاديِّين؟ أمَّا أمثالُ هادي فهُم جدُّ قلائِلٌ، وكانَ يحقُّ لهُ ما لَم يَكُن يحقُّ للعامَّة.

الآنَ، وقد غابَ عنَّا بالحضور، أسمحُ لنفسي بالتوقُّفِ عندَ ثلاثَةِ محاورَ مِن حياتِه، مِنها ما هو معلومٌ ومنها ما هو غير معلوم.

أوَّلًا: محورُ حياتِه الشخصيَّة. ذَكَرَ الرئيسُ العامُّ في عظتِهِ منذُ يومين أنَّ هادي عُرِفَ ومنذُ البدايةِ بأخِ الشهيدِ طوني وذلكَ على خلفيَّةِ دخولِهِ الرهبنةَ بعدَ استشهادِ أخيهِ مباشرةً. فقد بَقيتْ هذهِ اللازِمَةُ ترافِقُهُ لسنينَ طويلةٍ، أقلَّهُ داخليًّا، إلى اليوم الذي قرَّرَ فيه عام ١٩٨٩، وهو أخٌ معي في روما على مقاعدِ الدراسَةِ، البقاءَ خارِجَ حِصنِ الديرِ لمدَّةِ سَنَةٍ. أراد بذلِكَ أن يتأكَّدَ ويعيشَ ويختَبِرَ دعوَتَهُ الرهبانيَّةَ هو، وليسَ دعوةَ أخيهِ الشهيد. أرادَ أن يتأكَّدَ من أنَّ دعوتَهُ هي فعلًا دعوتُهُ هو، وليست تكمِلَةً لدعوةِ أَخِيه. أرادَ أن يتأكَّدَ مِن أنَّ الربَّ دعاهُ إلى الحياةِ المكرَّسَةِ وليس إلى الحياةِ الزوجيَّةِ التي كانَ يُقَدِّرُها أكبرَ تقديرٍ. ولأنَّهُ كان نَزيهًا وشَريفًا وصادِقًا اختارَ الحياةَ خارِجَ الديرِ فاستَقَلَّ عَنهُ وتحمَّلَ مسؤوليَّتَهُ كاملةً في العالم. كانَت حاجتُهُ لكلِّ هذه التأكيداتِ كبيرةً، لكن لَم يَجِد يومَها مَنْ يَفْهَمُهُ، وبقيَ المسؤولونَ يواجهونَ قضيَّتَهُ بِسَطحيَّةٍ وخِفِّيَّةٍ فتَشوَّهَتْ خِبرَتُهُ الأَصيلَةُ هذهِ تُجاهَ الرهبانِ، إنَّما أَعطَتهُ في المقابِلِ اندفاعًا مُتَجدِّدًا وارتياحًا نفسيًّا وثِقَةً بالنفسِ وبدعوَتِهِ أقوى من قبل.

ثانيًا: محورُ الضعيف. لقد رَبَطْنا اسمَ هادي بالسجناءِ لأنَّهُ أَسَّسَ "عدل ورحمة" واشتهرَ من خلالِها، إلَّا أنَّ كلَّ مَن عَرَفَ هادي سابقًا عَرَفَهُ شفَّافًا ومُرهَفًا وحسَّاسًا تُجاهَ كلِّ ضعيفٍ أيًّا كان نوعُ ضُعفِه: مريضًا كانَ أَم يتيمًا أم معوَّقًا أم سجينًا أم كبيرَ السنِّ أم فقيرًا أم مظلومًا. عايشتُهُ منذُ أيَّامِ المراهَقَةِ وسنينَ الدراسةِ في المعهد الأنطونيِّ يومَ كانَ يُكَرِّسُ يومَي السبت والأحد لمساعدةِ المعوَّقينَ في جمعيَّةِ إيمان ونور، وبعدَها في الابتداءِ لمرافَقَةِ المسنِّينَ في جمعيَّةِ "الرؤوسِ البيضاء(tête blanche) "، ومجدَّدًا في روما مع إيمان ونور الإيطاليَّة، وزاد عليهم المؤسَّساتِ الخيريَّةَ والاجتماعيَّةَ التي تهتمُّ بالمُدمنينَ والبغايا والمشرَّدينَ على الطرقات. ووصل بعدَ هذهِ الخُبُراتِ كُلِّها إلى حقلِ السجناءِ؛ هو الذي خَبِرَ معي ومعَ ستَّةِ إخوةٍ أنطونيِّينَ آخرينَ خبرةَ السجنِ في سوريا سنةَ ١٩٨٧، وصلَ عام ١٩٩٠ إلى عالمِ السجنِ الرديءِ في لبنانَ، المتفلت من أبسط القواعد، فلاقى نفسَه فيه بالملأ. وها هو يكتبُ لي رسالةً في أذار ١٩٩١ يخبرني فيها عن فرحَتِهِ قائلًا: "ليك بدّي خبرك. طلّعت واحد من الحبس في رومية وفرحتي أدّي اليوم... كان لازم لو مئة ألف ليرة حتى يطلع لأنو متديّن مصاري من واحد ومش قادر يردهم، فقام الزبون وحطو بالحبس. نعم هلق صار في دولة. ضلّيت اشتغل لحتى شفت يللي ديّنو وخفّض السعر لمئة ألف ليرة، وهيك دبرتهم من هون وهون ورجّعت المحبوس لمرتو وولادو الطفالة الخمسة. وهلق عم دبّرلو شغل. الواحد يا أبو الميش لمن بيشتغل ولمن بيتمكن أنو يحب بيعيش وبينتعش وبينسى أنو هوي مقهور أو تعبان أو غيرو."...

ثالثًا: رغبَتُهُ الدائِمةُ في بناءِ عائلَةٍ على الرغمِ من قناعَتِهِ بدعوَتِهِ في الحياةِ المكرَّسَة. بالإضافة إلى عائلَتِهِ الطبيعيَّةِ وعائلتِهِ الرهبانيَّةِ فقد وجدَ نَفسَهُ أيضًا في بناءِ عائلةٍ بالصُّدفَةِ حيثُ أحضروا أمامَهُ مرَّةً في مكتَبِهِ في رومية ثلاثةَ

أطفالٍ، مع أبٍ في السجنِ وأمٍّ تركتهُم واختَفَت، فما كان منه إلَّا أن اهتمَّ بهم مباشرةً وأسكنَهُم منزلًا، وعلَّمهُم بعدها في المدارسِ والجامعاتِ حتَّى التخرُّجِ والزواج، وكان يفْتَخِرُ بِعَمَلِهِ هذا، ويتباهى بكلِّ مرَّةٍ يُمضي فيها عيدَ الميلادِ عندَ "أولادِه" كما كان يُرَدِّدُ غالبًا.

كان هادي إنسانًا طيِّبًا في العمق وراهبًا بالفطرةِ وحقوقيًّا بالممارسة. كان صاحبَ رؤيةٍ. كان يرى بعيدًا. أفتقِدُه اليومَ، أفتقِدُهُ كثيرًا لأنِّي كنتُ أُفكِّرُ مَعَهُ وأُخطِّطُ مَعَهُ. أَفتقِدُهُ لأنِّي كنتُ أجِدُ فيهِ الكليمَ الأنيسَ والمحاورَ المثاليَّ. عَشِقَ الحياةَ الرهبانيَّة، لا تلكَ الحياةِ المتخمةِ بالمراكزِ والمسؤولياتِ، بل تلكَ التي تُقرِّبُكَ من اللهِ وتستمدُّ منهُ كلَّ عزمٍ ومثابرَةٍ وتضحيةٍ. أحبَّ الرُّهبانيَّة، لا تلكَ الرُّهبانيةَ المُفرطةَ بالمؤسَّساتِ والإداراتِ والمُنشآتِ والدوائرَ، المربَّعةَ بأنظمَتِها والمحصورةَ ضِمنَ إطاراتٍ بشريَّةٍ مبتذَلةٍ، بل تلكَ المنفتحةَ على كلِّ مُهمَّشٍ ومُشرَّدٍ ومريضٍ، تلك التي تشعرُ مع الضعيفِ وتؤاسي الحزينَ وتفتقدُ السجينَ وتُضيِّعُ الوقتَ مع الوحيد.

كان أخصَّائيًّا في حقوقِ الإنسانِ لأنَّهُ كان على يقينٍ تامٍّ من أنَّ حقوقَ الإنسانِ، أيِّ إنسانٍ، هي من صُلبِ إيماننا باللهِ وبوجودِهِ وبعمَلِهِ وبفِعلِهِ فينا... وبِقَدرِ ما كان إيمانُهُ كبيرًا باللهِ العادلِ والرحيمِ، بقدرِ ذلكَ كانَ دفاعُهُ عن المسكينِ عظيمًا. اهتمَّ بالآخرِ كآخرٍ وكإنسانٍ يحُقُّ لهُ العيشُ بكرامةٍ. لم يسألْ يومًا عن عُمرِهِ أو جِنسِهِ أو دِينِهِ أو جِنسيَّتِه. وبقدرِ ما كانَ يُدافِعُ عن المظلومِ بقدرِ ذلكَ عاشَ مظلومًا. ولكن، لا عَجَبَ في أنَّه ظُلِمَ في حياتِهِ، فكلُّ الكِبارِ وكلُّ أصحابِ الكاريزما مثلَهُ ظُلِمُوا في حياتِهم، إنَّما هذا الظلمُ جَعَلَهُ أكثرَ تألُّقًا وجَوْهرَ روحَهُ النقيَّةَ الطاهرة .

عِزَّةُ نَفسِ هادي وكرامتُهُ شكَّلا قوَّةَ بُنيتِهِ النفسيَّة. حتَّى عندما اشتدَّ عليه المرضُ ووهَنَ جسدُهُ جدًا، بقيَ عُنفوانُهُ جبَّارًا وشهامَتُهُ متينةً. لم أسمعْهُ مرَّةً يتأفَّفُ أو يَشتَكي. أُسلِّطُ الضوءَ على هذهِ الميزةِ في هادي لأنِّي أعرِفُ كم نهوى نحنُ الرهبانُ التذمُّرَ والتَملمُلَ والتشكِّيَ من أصغرِ الأمور. إنَّهُ من طينةِ Don Oreste Benzi الذي كان يردِّدُ: "ليسَ لدينا وقتٌ لفلسَفَةِ الأمورِ، فحاجاتُ الفقراءِ ملحَّةٌ". إنَّه من طينةِ الأم تريزا دي كالكوتا التي كانت تقول: "كلُّ حياةِ يسوعَ المسيحِ كانت منذُ بدايَتِها حتَّى نهايَتِها لُطفًا وعَطفًا تُجاهَ الآخرين. إن كنَّا أدركنا ذلكَ نعرفُ كلَّ اللهِ، وإن لم نتعلَّمْهُ خَسِرنا كلَّ شيءٍ."

هادي هذا اللامفهومُ بامتيازٍ. لم تفهمهُ السلطاتُ على تعدُّدِها: بدءًا من سُلطةِ الرهبنةِ إلى سلطةِ الكنيسةِ إلى السلطاتِ السياسيَّةِ والأمنيَّةِ والعسكريَّة... ولم يتمكَّن من أن يكونَ إلَّا كما كان لأنَّهُ حَمَلَ رايةَ المظلوم، فلم يرتَحْ ولم يترُكْ أحدًا يرتاحُ مَعَه.

علَّمَنا كَم هو غنيٌّ الإنجيل. علَّمَنا كيفَ أنَّ خِبرةَ أنطونيوس الذي غيَّرَ حياتَهُ كلَّها بمجردِ سماعِهِ قولَ الإنجيل: "إن أردتَ أن تكونَ كاملًا، إذهبْ وبِعْ كلَّ ما لكَ وتعالَ اتبعني"، علَّمَنا كيفَ أن خِبرةَ أنطونيوس هذه يُمكنُها أن تتكرَّرَ بعدَ ١٧٠٠ سنةٍ مَعَه. هادي علَّمَنا أنَّ كلمةً واحدةً، جُملةً صغيرةً، مشهدًا واحدًا من الأناجيلِ قادرٌ أن يملأَ قلبَ الإنسانِ وحياتَه. هو الذي اكتفى بكلماتٍ قليلةٍ حتَّى يفهمَ جوهَرَ كلمَةِ الله، اكتفى بآيةٍ واحدةٍ: "الحقَّ أقولُ: كلَّ ما فعلتُم شيئًا معَ واحدٍ من إخوتي هؤلاءِ الصغار، فمَعي فعلتموه" (متى ٢٥: ٤٠). كانت كافيةً تلكَ العبارةُ لكي تقودَ حياةَ هادي وتملأها وينتَشي هو بِها.

في آخرِ أيَّامِ حياتِهِ كانَ يُردِّدُ على مِسمعي: "أنا مُستَعِد. أنا مستَعِد. في أحلى منَّا تشوف وج الله؟" – ضليتك تشوف وج الله بالفقراء حتَّى شفت وجّو عن حق وحقيق. أرقد بسلام أخي الحبيب واشفع فينا!